

التفسير المحرر 9-10109-1.0

قال الأشراف والرؤساء المتكبرين عن الحق من قوم شعيب: والله أنُخِرَجَنَّكَ يا شعيبُ وَمَنْ أَمَنَ مَعَكَ مِنْ بِلَدِنَا، أَوْ لَنَرْجِعَنَّ أَنْتَ وَهُمْ إِلَى دِينِنَا! فقال شعيبُ: أَتُجْبِرُونَنَا عَلَى الْعُودَةِ إِلَى مِلَّتِكُمْ قَهْرًا، وَإِنْ كُنَّا كَارِهِينَ لَهَا؛ لَعَلَّنَا بَطْلَانُهَا؟!

قَدْ اخْتَلَقْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ رَجَعْنَا إِلَى دِينِكُمْ، بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَنَا اللَّهُ مِنْهُ، وَمَا يَنْبَغِي أَبَدًا أَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، قَدْ وَسِعَ عِلْمُ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا كَانَ، وَلَا مَا سَيَكُونُ، عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ نَعْتَمِدُ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، يَا رَبَّنَا، احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا الْكَفَّارِ بِحُكْمِكَ الْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

قال الأشراف والرؤساء الكفار من قوم شعيب: تحذيرًا لِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ: وَاللَّهُ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا؛ فَتَرَكْتُمْ دِينَكُمْ، لَهْلَكْتُمْ وَخَسِرْتُمْ مَصَالِحَ الْحُكْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

فَأَخَذَتْ أُولَئِكَ الْكَفَّارَ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ، فَصَارُوا فِي بِلَادِهِمْ صَرَعى، لَا صِقِينَ بِالْأَرْضِ.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا هَلَكُوا، وَكَانَتْهُمْ لَمْ يُقِيمُوا قَطُّ فِي بِلَادِهِمْ، وَلَمْ يَتَمَتَّعُوا فِيهَا، وَقَدْ خَسِرُوا دِينَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ.

فَانْصَرَفَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ قَوْمِهِ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، وَقَالَ مَوْخًا لَهُمْ: لَقَدْ أَذَيْتُ إِلَيْكُمْ جَمِيعَ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِأَدَائِهِ، وَأَرَدْتُ لَكُمْ الْخَيْرَ، وَاجْتَهَدْتُ فِي هِدَايَتِكُمْ، فَلَمْ تَقْبَلُوا نُصْحِي، فَكَيْفَ يَشْتَدُّ حُزْنِي عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ؟

وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى أَهْلِ بِلْدَةِ نَبِيًّا، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فَكَذَّبُوهُ، إِلَّا عَاقَبْنَاهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْأَمْرَاضِ؛ لِيَدْعُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَكْشِفَ مَا حَلَّ بِهِمْ، وَيَخْشَعُوا لَهُ، وَيُنِيبُوا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا لَمْ يُجَدِّ مَعَهُمْ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَ طُغْيَانُهُمْ، حَوَّلْنَا حَالَهُمْ مِنَ الشَّدَّةِ إِلَى الرِّخَاءِ، فَعَاقَبْنَا أَبْدَانَهُمْ، وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، فَلَمْ يَتَضَرَّعُوا لِلَّهِ حِينَ الشَّدَّةِ، وَلَمْ يَشْكُرُوهُ حِينَ النِّعْمَةِ، وَقَالُوا: هَذِهِ أَحْوَالُ اعْتِيَادِيَّةٍ جَرَتْ عَلَى آبَائِنَا مِنْ قَبْلُ، وَلَيْسَ لِهَذَا الْأَمْرِ تَعَلُّقٌ بِالتَّذْكِيرِ وَالِابْتِلَاءِ، فَأَهْلَكْنَا أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَى فَجَاءَةً، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَاتَّقَوْا اللَّهَ، لَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بَرَكَاتٍ؛ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ، وَأَنْبَتَ لَهُمُ الْأَرْضُ بِأَنْوَاعِ الثَّمَارِ، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ؛ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ؛ لَكُفْرِهِمْ، وَاقْتِرَافِهِمُ السَّيِّئَاتِ.

أَبَعَدَ ذَلِكَ يَظُنُّ أَهْلُ الْقُرَى الْأُخْرَى الْكَافِرَةِ أَنَّهُمْ آمِنُونَ مِنْ حُلُولِ عَذَابِنَا عَلَيْهِمْ لَيْلًا وَهُمْ نِيَامٌ؟! أَوْ يَظُنُّ أَهْلُ الْقُرَى الْكَافِرَةِ أَنَّهُمْ فِي مَأْمَنِ مِنْ حُلُولِ عَذَابِنَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَهُمْ فِي لَهْوِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ؟!

فَهَلْ آمَنُوا أَنْ يَسْتَدْرِجَهُمُ اللَّهُ بِنِعْمِهِ، كَمَا اسْتَدْرَجَ مَنْ قَبْلَهُمْ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ بِعَذَابِهِ بَغْتَةً؟! إِنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَحَدٌ ذَلِكَ، مَعَ إِقَامَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، وَإِصْرَارِهِ عَلَى الْمَعَاصِي، إِلَّا الْهَالِكُونَ، الَّذِينَ أَضَاعُوا عُقُولَهُمْ، فَفَقَدُوا مَا يَنْفَعُهُمْ، وَجَلَبُوا مَا يَضُرُّهُمْ.

أَوَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِلَّذِينَ يُسْتَخْلَفُونَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ هَلاكِ أَهْلِهَا أَنَّا نَقْدِرُ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ؛ لَكُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، كَمَا عَاقَبْنَا مَنْ قَبْلَهُمْ مِمَّنْ فَعَلَ مِثْلَهُمْ؟! وَنَحْنُ نَخْتِمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَيُؤَدِّي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى عَدَمِ قَبُولِ الْهُدَى، وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ.

تِلْكَ الْقُرَى الْمُهْلَكَةُ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ نَتْلُو عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ أَخْبَارِ أَهْلِهَا مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّسْلِيَةُ

والموعظة، لقد جاءتهم رُسُلهم بالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ، ولكن امتنع عليهم الإيمان بالحق؛ لتكذيبهم به أَوَّلَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ، وكما خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَفَّارِ السَّابِقِينَ بِهَذَا الْخَتَمِ الْمُحْكَمِ، يَخْتِمُ أَيْضًا عَلَى قُلُوبِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكَافِرِينَ؛ فَلَا يُؤْمِنُونَ.

وما وجدنا لِأَكْثَرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا مِنْ وَفَاءٍ بِالْعَهْدِ الَّذِي وَصَّيْنَاهُمْ بِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الْحَقِّ، وَإِنَّمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، إِلَى مَلِكٍ مِصْرَ، وَأَشْرَافِ قَوْمِهِ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ، فَاَنْظُرْ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَى آخِرِ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ.

وَقَالَ مُوسَى لِمَلِكِ مِصْرَ: يَا فِرْعَوْنُ، إِنِّي رَسُولٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

وَأَنَا جَدِيرٌ بِالْأَلَا أُكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ وَمُعْجَزَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، تَدُلُّكُمْ عَلَى صِدْقِي، فَأَطْلِقْ -يَا فِرْعَوْنُ- ذُرِّيَّةَ يَعْقُوبَ مِنْ أَسْرِكَ، فَيَخْرُجُوا مَعِيَ؛ لِنَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ نَشَاءُ. قَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: إِنْ كُنْتَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِظْهَارِ حُجَّةٍ وَمُعْجَزَةٍ تُوَيِّدُ كَلَامَكَ، فَهَاتِهَا؛ لِنَرَى إِنْ كُنْتَ حَقًّا مِنَ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَاكَ.

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فِي الْأَرْضِ؛ فَاِنْقَلَبَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ ثُعْبَانًا عَظِيمًا وَاضِحًا لِمَنْ يَرَاهُ.

وَأَخْرَجَ مُوسَى يَدَهُ مِنْ جَبِيهِ، فَظَهَرَتْ بَيْضَاءٌ لِكُلِّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا.

قال الأشرافُ من قومِ فرعونَ: إِنَّ موسى ساحرٌ حاذِقٌ، ماهِرٌ بالسِّحْرِ، فَيُخِيلُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ عَصَاهُ تَتَقَلَّبُ حَيَّةً، وَأَنَّ يَدَهُ تَصِيرُ بَيْضَاءً.

قال أشرافُ قومِ فرعونَ: يُريدُ موسى بِسِحْرِهِ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ؛ مِصْرَ، فَمَا تَأْمُرُونَ فِي شَأْنِهِ؟

قال الملأُ لفرعونَ: أَخْرَجْ موسى وأخاهُ هارونَ، وأمهلهما، وابعثْ في مُدُنِ مَمْلَكَتِكَ أَنْاسًا يَحْشُدُونَ مِنْهَا السَّحَرَةَ.

يَجِئُوا لَكَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ بِالسَّحَرَةِ الْمَهْرَةِ؛ لِمَعَارَضَةِ مَا جَاءَ بِهِ موسى.

وجاء السَّحَرَةُ الَّذِينَ جُمِعُوا مِنَ الْمُدُنِ إِلَى فرعونَ، فَلَمَّا حَضَرُوا سَأَلُوهُ: هَلْ سَتَمْنَحُنَا عَطَاءً عَظِيمًا إِنْ تَغْلِبْنَا عَلَى موسى؟

قال فرعونُ لهم: نَعَمْ، لَكُمْ ذَلِكَ، وَلَكُمْ أَيْضًا فَوْقَ مَا سَأَلْتُمْ؛ أَنْ أَجْعَلَكُم مِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدِي.

قال السَّحَرَةُ: يَا موسى، اخْتَرْ إِمَّا أَنْ تُثْلِقَ عَصَاكَ أَوَّلًا، أَوْ نُثْلِقَ قَبْلَكَ مَا مَعَنَا.

قال موسى لهم: أَلْقُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا، فَلَمَّا أَلْقَى السَّحَرَةُ جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، خَيَّلُوا إِلَى الْأَبْصَارِ أَنَّهَا حَيَّاتٌ تَسْعَى، وَأَخَافُوا النَّاسَ بِذَلِكَ، فَقَدِ جَاءُوا بِتَخْيِيلٍ عَظِيمٍ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ، ذِي تَأْثِيرٍ كَبِيرٍ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى بَعْدَ مَا أَلْقَى السَّحَرَةُ مَا مَعَهُمْ: أَلْقِ عَصَاكَ، فَالْقَاهَا موسى، فَاثْقَلَتْ ثُعْبَانًا عَظِيمًا حَقِيقِيًّا، يَبْتَاعُ

بسرعة هائلة جميع ما ألقاه السحرة من الجبال والعصي، والتي
أوهموا الناس أنها حيات.

فلما جرى ذلك ظهر الحق، وتبين لجميع الحاضرين أن
موسى رسول من عند الله، واضمحَلَّ ما كان يقوم به السحرة
من خداع.

فغلب فرعون وقومه والسحرة عند ذلك الجمع، وانصرفوا
إذلاء، بعدما غلبهم موسى عليه الصلاة والسلام.
ولم يتمالك السحرة أنفسهم بعدما رأوا عظيم قدرة الله عزَّ
وجلَّ، وعرفوا صدق موسى، فسقطوا على وجوههم ساجدين
لربهم.

قال السحرة: آمنا بخالق ومالك ومُدبِّر كلِّ شيء، فلا نعبدُ
غيره.

وربنا الذي آمنا به هو ربُّ موسى وهارون، اللذين أيدهما
بهذه المعجزة العظيمة، الدالة على صدقهما.

قال فرعون للسحرة لَمَّا أَعْلَنُوا إيمانهم بالله عزَّ وجلَّ: أَمَنْتُمْ
بموسى قَبْلَ أَنْ أَمْنَحَكُمْ الْإِذْنَ؟! إِنَّ مَا فَعَلْتُمُوهُ لَخُدْعَةٌ اتَّفَقْتُمْ أَنْتُمْ
وموسى عليها في هذه المدينة؛ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا، وَتُسْكِنُوا
فيها بني إسرائيل، فسوف تَعْلَمُونَ مَا أَفْعَلُ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ.

قال فرعون: أَفَسِمٌ لَأَقْطِعَنَّ مِنْ كُلِّ سَاحِرٍ مِنْكُمْ يَدَهُ وَرِجْلَهُ
مِنْ جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ -فَيَقْطَعُ الْيَدَ الْيُمْنَى وَالرَّجْلَ الْيُسْرَى أَوْ
بِالْعَكْسِ-، ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ كُلَّكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ.

قال السحرة: إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ، فَجِدْ لَدَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ مَا
يُنْسِينَا كُلَّ بَلَاءٍ، فَلَا تُبَالِي بِعِقَابِكَ -يَا فرعون-، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى
عَذَابِكَ؛ لِنَنْجُو مِنَ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

وما الَّذِي تُنْكِرُهُ، وَتَعْيِبُهُ عَلَيْنَا - يَا فِرْعَوْنَ؛ - حَتَّى يَكُونَ سَبَبًا
لِعَذَابِنَا وَتَقْتِيلِنَا إِلَّا أَنَّنَا آمَنَّا بِحُجَجِ رَبِّنَا وَأَدْلَتِهِ حِينَ جَاءُنَا؟! رَبَّنَا
أَنْزَلَ عَلَيْنَا صَبْرًا عَظِيمًا عِنْدَ تَعْذِيبِ فِرْعَوْنَ لَنَا؛ حَتَّى نَثْبُتَ
عَلَى دِينِكَ، وَأَمْتُنَا وَنَحْنُ ثَابِتُونَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الْأَشْرَافُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لَهُ: أَتَنْتَرِكُ مُوسَى وَقَوْمَهُ مِنْ
غَيْرِ أَنْ تُعَاقِبَهُمْ، فَيُفْسِدُوا عَلَيْكَ رَعِيَّتَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ،
وَالْحَالُ أَنَّهُ يَتْرُكُ عِبَادَتَكَ وَعِبَادَةَ آلِهَتِكَ، وَيَنْهَى النَّاسَ عَنْ
ذَلِكَ؟! قَالَ فِرْعَوْنُ مُجِيبًا لَهُمْ: سَنُقَلِّلُ الذُّكُورَ مِنْ أَوْلَادِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَنَتْرِكُ إِنَاثَهُمْ، وَإِنَّا عَالُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مُذَلِّلُونَ
لَهُمْ.

قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: اطْلُبُوا الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَاصْبِرُوا عَلَى مَا يَجِلُّ بِكُمْ، إِنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا
لِلَّهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ لِمَنْ يَشَاءُ مَلَكًا شَيْءٌ مِنْهَا، وَالْحَالُ الْمَحْمُودَةُ
تَكُونُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: أَذَانَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِكَ
بِرِسَالَتِكَ - يَا مُوسَى - وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَاكَ كَذَلِكَ! فَقَالَ مُوسَى لَهُمْ:
إِنِّي لَأَرْجُو مِنْ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ، وَيَجْعَلَ لَكُمْ خُلَفَاءَ فِي
أَرْضِهِمْ، فَيَرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَعْمَلُونَهُ حِينَهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.
وَلَقَدْ ابْتَلَيْنَا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، بِالْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، وَقِلَّةِ الثَّمَارِ؛
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الْحَقَّ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ.

فَإِذَا جَاءَتْ آلَ فِرْعَوْنَ الْحَالُ الْحَسَنَةُ؛ مِنْ الْعَافِيَةِ وَالرَّخَاءِ،
قَالُوا: هَذِهِ النِّعَمُ لَنَا؛ لَأَنَّنَا نَسْتَحِقُّهَا، وَلَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا، وَإِنْ
تُصِيبُهُمْ حَالٌ سَيِّئَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ؛ كَقِلَّةِ الْأَرْزَاقِ، وَمَجِيءِ
الْأَمْرَاضِ؛ يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَيَقُولُوا: هَذَا

الْبَلَاءُ جَاءَنَا بِسَبَبِهِمْ! إِنَّ مَا يُصِيبُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ شَرِّ إِنَّمَا هُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ عُقُوبَةٌ لَهُمْ لِكُفْرِهِمْ، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ مُوسَى وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

وَقَالَ آلُ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى: مَهْمَا تَأْتِنَا بِمُعْجِزَةٍ؛ لَتَصْرِفَنَا بِهَا عَنْ دِينِنَا، جَزَمْنَا بِأَنَّهَا سِحْرٌ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِكَ.

فَبَسَبَبِ كُفْرِهِمْ بَعَثْنَا عَلَيْهِمُ الْمَاءَ الْكَثِيرَ، الَّذِي دَخَلَ بُيُوتَهُمْ، وَأَغْرَقَ مَزَارِعَهُمْ، وَبَعَثْنَا الْجَرَادَ، فَأَكَلَ زُرُوعَهُمْ وَثِمَارَهُمْ، وَبَعَثْنَا الْقُمَّلَ، فَأَذَاهُمْ، وَبَعَثْنَا الضَّفَادِعَ، فَامْتَلَأَتْ مِنْهَا بُيُوتُهُمْ وَأَنْبِيَتْهُمْ، وَبَعَثْنَا الدَّمَ، فَصَارَ مَاؤُهُمْ دَمًا، بَعَثْنَا تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ، وَجَعَلْنَاهَا عَلَامَاتٍ عَلَى صَدَقِ مُوسَى، وَفَصَلْنَا كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ فَكَانَ بَعْضُهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ، فَتَكَبَّرَ آلُ فِرْعَوْنَ عَلَى الْحَقِّ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ اسْتِكْبَارِهِمْ قَوْمًا يُصِرُّونَ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَمَّا نَزَلَ بِآلِ فِرْعَوْنَ الْعَذَابُ فَزَعُوا إِلَى مُوسَى قَائِلِينَ: يَا مُوسَى، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِالَّذِي أَوْصَاكَ أَنْ تَدْعُوهُ بِهِ؛ لِيَكْفَعَ عَنَّا هَذَا الْعَذَابَ، وَنُقْسِمُ لَكَ لَنْ رَفَعْتَهُ عَنَّا بِدَعَائِكَ رَبَّكَ، لَنُؤْمِنَنَّ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَلَنُخَلِّينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا طَلَبْتَ.

فَلَمَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الْعَذَابَ، وَأَمْهَلَهُمْ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَهُلَاكِهِمْ، إِذَا بِهِمْ يَنْقُضُونَ عُهُودَهُمْ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يُرْسِلُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا نَقَضُوا الْعُهُودَ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ أَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ؛ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِنَا، وَغَفَلَتِهِمْ عَنْهَا، فَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَيَعْتَبِرُوا بِهَا.

وَمَلَّكْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ يَقْهَرُونَهُمْ
وَيَسْتَعْبِدُونَهُمْ، جَمِيعَ جِهَاتِ شَرْقِ أَرْضِ الشَّامِ، وَجِهَاتِ غَرْبِهَا،
وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي جَعَلْنَا فِيهَا الْخَيْرَ ثَابِتًا، مُسْتَمِرًّا، وَقَدْ وَفَّى اللَّهُ
بِمَا وَعَدَ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ، وَتَمْكِينِهِمْ فِي
الْأَرْضِ؛ لَصَبْرِهِمْ، وَدَمَّرْنَا مَا شَيْدَهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ
الْعِمَارَاتِ، وَالْمَزَارِعِ، وَمَا رَفَعُوهُ مِنَ الْمِبَانِي وَالْقُصُورِ.

وَقَطَعْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ؛ بَعْدَ إِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،
فَمَرُّوا عَلَى مُشْرِكِينَ يَلْزَمُونَ أَصْنَامًا لَهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى،
اجْعَلْ لَنَا صِنْمًا نَتَّخِذُهُ إِلَهًا كَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ! فَقَالَ مُوسَى: إِنَّكُمْ
تَجْهَلُونَ عِظَمَةَ اللَّهِ، وَوُجُوبَ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَذَمُّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، وَيُعَذِّبُهُمْ،
وَإِنْ عِبَادَتُهُمُ الْأَصْنَامَ أَمْرٌ مُضْمَحَلٌّ؛ فَلَنْ يَنْتَفِعُوا بِهِ.

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، الْمَعْبُودِ
بِحَقٍّ، الْكَامِلِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَالْحَالِ أَنَّهُ فَضَّلَكُمْ عَلَى
عَالَمِي زَمَانِكُمْ، وَأُمَمٍ عَصَرِكُمْ؟!!

قَالَ اللَّهُ مُذَكِّرًا بَنِي إِسْرَائِيلَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ: وَانْذَكُرُوا حِينَ
أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ كَانُوا يُذَيِّقُونَكُمْ أَفْظَعَ الْعَذَابِ؛
فَيَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ الذَّكُورَ، وَيُبْقُونَ إِنَاثَكُمْ أَحْيَاءً، وَفِي ذَلِكَ الْعَذَابِ
مِحْنَةٌ وَاخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ عَظِيمٌ.

وَوَاعَدْنَا مُوسَى انْقِضَاءَ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، يَتَرَقَّبُ بَعْدَهَا مُنَاجَاتِنَا،
وَإِنْزَالَ التَّوْرَةِ عَلَيْهِ، وَأَتَمَمْنَا الثَّلَاثِينَ بَعْشَرَ لَيَالٍ أُخْرَى، فَصَارَ
الْمَوْعِدُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا أَرَادَ
الذَّهَابَ لِلطُّورِ لِمَوْعِدِ رَبِّهِ: كُنْ خَلِيفَتِي فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ

أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ، وَأَصْلِحْ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِصْلَاحِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ الطُّورِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، أَرْنِي ذَاتَكَ؛ لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: لَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ تَجَلَّيْتُ لَهُ وَثَبَّتَ مَكَانَهُ فَسَتَرَانِي، وَإِذَا لَمْ يَثْبُتْ مَعَهُ أَنَّهُ أَقْوَى مِنْكَ فَلَنْ تُطِيقَ رُؤْيِي مِنْ بَابِ أُولَى، فَلَمَّا ظَهَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَبَلِ صَارَ مُفْتَتًّا، مَسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنْزَلَهُكَ يَا اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَحَدُ رُؤْيِكَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يَعِيشَ، إِنِّي ثَبَّتُ إِلَيْكَ؛ فَلَنْ أَعُودَ إِلَى طَلَبِ ذَلِكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَلَاكَ.

قَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى، إِنِّي اخْتَرْتُكَ وَفَضَّلْتُكَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِكَ لِإِرْسَالِي لَكَ، وَتَكْلِيمِي إِيَّاكَ بِلَا وَاسِطَةٍ، فَخُذْ مَا أُعْطَيْتُكَ مِنَ التَّوْرَةِ، وَتَمَسَّكْ بِهَا، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ.

وَكَتَبْنَا لِمُوسَى فِي الْوَاحَةِ- الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى التَّوْرَةِ- كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أُمَّتُهُ فِي دِينِهَا؛ تَذْكِيرًا وَتَحْذِيرًا، وَتَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعُقَايِدِ، وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا، فَتَمَسَّكَ يَا مُوسَى بِذَلِكَ بِجِدٍّ وَصَبْرٍ وَعِزَمٍ، وَأَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّمَسُّكِ بِأَحْسَنِ مَا فِيهَا، سَارِيكُمْ دَارَ مَنْ عَصَانِي وَخَالَفَ أَمْرِي.

سَأَصُدُّ عَنْ فَهْمِ آيَاتِ الْكُتُبِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ الْكَوْنِ، الَّذِينَ يَرُدُّونَ الْحَقَّ، وَيَحْتَقِرُونَ الْخَلْقَ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ حُجَّةٍ لِلَّهِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الْهُدَى ظَاهِرًا لَهُمْ، لَا يَسْلُكُوهُ، وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الضَّلَالِ ظَاهِرًا لَهُمْ،

يَسْلُكُوهُ، وَصَرَفُهُمْ عَنْ فَهْمِ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ، عُقُوبَةً لَهُمْ لَتَكْذِيبِهِمْ بِهَا، وَغَفَلَتِهِمْ عَنْهَا.
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِنَا وَأَدْلَيْنَا، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى مَوْتِهِمْ؛ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، كَأَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ، وَلَا نُجَازِي الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِي وَلِقَائِي إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عِقَابٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ السَّيِّئَةِ.

وَصَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ ذَهَابِ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ مِنْ مَصُوعِهِمُ الَّذِي يَتَزَيَّنُونَ بِهِ عِجْلًا لِيَعْبُدُوهُ وَكَانَ جَسَدًا لَهُ صَوْتُ الْبَقَرِ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُرْسِدُهُمْ إِلَى خَيْرٍ، فَكَيْفَ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا؟! لَقَدْ اتَّخَذُوهُ، وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ لَهُ ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ.
وَلَمَّا نَدِمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ بَعْدَ مَجِيئِ مُوسَى، وَغَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ انْحَرَفُوا عَنِ الْحَقِّ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْنَا رَبُّنَا بِرَحْمَتِهِ، وَيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ.
لَمَّا رَجَعَ مُوسَى مِنْ مُنَاجَاةِ اللَّهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ شَدِيدُ الْغَضَبِ وَالْحُزَنِ، قَالَ: بِئْسَ الْحَالُ وَالْفِعْلُ الَّذِي قُمْتُمُوهُ مَقَامِي بِعِبَادَتِكُمُ الْعِجْلَ! وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، فَهَلِ اسْتَعْجَلْتُمْ مَجِيئِي، وَلَمْ تَنْتَظِرُونِي، وَلَمْ تُحَافِظُوا عَلَى مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ الَّذِي أَتَيْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى؟! وَرَمَى الْأَلْوَاحَ فِي الْأَرْضِ؛ غَضَبًا عَلَيْهِمْ حِينَ رَأَوْهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ، وَأَمْسَكَ بِشَعْرِ رَأْسِ أَخِيهِ هَارُونَ، وَجَعَلَ يَسْحَبُهُ بِشِدَّةٍ، فَقَالَ هَارُونُ مُسْتَعْطَفًا: يَا ابْنَ أُمِّي، إِنَّ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ اعْتَقَدُوا أَنِّي ضَعِيفٌ؛ فَلَمْ يُطِيعُونِي عِنْدَمَا نَهَيْتُهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَقَدْ أَوْشَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى قَتْلِي؛ فَلَا تَظُنَّنِي بِتَقْصِيرٍ، وَلَا

تَسْرَ عَبْدَ الْعَجَلِ بَضْرَبِي وَإِهَانَتِي، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي غَضَبِكَ عَلَيَّ، وَغُقُوبَتِكَ لِي، مَعَهُمْ وَمَنْ جُمِلَتْهُمْ.

قال موسى: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فِيمَا فَعَلْتُ بِأَخِي، وَبَدَرَ مَنِّي مِنْ غَضَبٍ وَجَدَّةٍ عَلَيْهِ، وَاغْفِرْ لِأَخِي هَارُونَ، وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَاجْعَلْهَا مُحِيطَةً بَنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ بِعِبَادِكَ مِنْ كُلِّ رَاجِمٍ.

إِنَّ الَّذِينَ عَبْدُوا الْعَجَلَ سَيُصِيبُهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ فِي الدُّنْيَا، وَكَمَا جَزَيْتُهُمْ بِالْغَضَبِ وَالذِّلَّةِ، نَجْزِي بِذَلِكَ أَيْضًا كُلَّ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ.

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ تَابُوا، وَآمَنُوا بِالْحَقِّ، إِنَّ رَبَّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنْ بَعْدِ ارْتِكَابِهِمُ لِلْسَّيِّئَاتِ، غَفُورٌ لَذُنُوبِهِمْ وَرَحِيمٌ بِهِمْ. وَلَمَّا سَكَنَ غَضَبُ مُوسَى، أَخَذَ الْأُلُوحَ الَّتِي أَلْقَاهَا، وَفِي الْمَكْتُوبِ فِيهَا وَمَا نُقِلَ مِنْهَا هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَرَحْمَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، لِمَنْ يَخَافُونَ اللَّهَ.

وَاخْتَارَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا لَوْقَتِ حَدَّةِ اللَّهِ؛ لِيَحْضُرُوا فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ، تَوْبَةً وَاعْتِذَارًا عَمَّا فَعَلُوا سَفَهَاءَ قَوْمِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، فَلَمَّا حَضَرُوا أَصَابَتْهُمْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، لَوْ شِئْتَ لَأَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأَنَا مَعَهُمْ، عَلَى مَرَأَى مِنْ قَوْمِنَا؛ حَتَّى لَا يَتَّبِعُونِي بِقَتْلِهِمْ، وَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ سَوَالَ اسْتِعْلَامٍ مَعَ اسْتِعْطَافٍ: أَتُصِيبُنَا بِالْهَلَاكِ بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ ضُعْفَاءُ الْعُقُولِ مِنَّا بِعِبَادَتِهِمُ الْعَجَلَ؟! وَمَا عِبَادَتُهُمْ لَهُ إِلَّا ابْتِلَاءٌ مِنْكَ؛ لِيَتَبَيَّنَ الضَّالُّ مِنَ الْمُهْتَدِي، أَنْتَ وَحْدَكَ نَاصِرُنَا، وَمُتَوَلِّي أُمُورِنَا، فَاعْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَتَعَطَّفْ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.

دعا موسى ربّه، فقال: اجعلنا ممّن كتبتَ له في الدُّنيا الحالةَ الحَسَنَةَ؛ كالعملِ الصَّالِحِ، والرِّزْقِ الواسِعِ، واكْتُبْ لَنَا فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً؛ بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، ودُخُولِ الْجَنَّاتِ، إِنَّا نُبْنِي إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا، فقال اللهُ لموسى: عَذَابِي فِي الدُّنْيَا أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ، وَرَحْمَتِي عَمَّتْ فِي الدُّنْيَا جَمِيعَ خَلْقِي، فَسَأَوْجِبُ حُصُولَهَا لِمَنْ يَمْتَثِلُونَ مَا أَمَرْتُ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا نَهَيْتُ، وَيُعْطُونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ لِمُسْتَحِقِّيْهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِآيَاتِي، فَيَتَّبِعُونَهَا.

الَّذِينَ كَتَبْتُ لَهُمْ رَحْمَتِي هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّدًا الرَّسُولَ النَّبِيَّ، الَّذِي لَا يَقْرَأُ مِنْ كِتَابٍ وَلَا يَكْتُبُ، يَجِدُونَهُ مَذْكُورًا بِصِفَاتِهِ فِي التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرَبَةَ النَّافِعَةَ، مِمَّا تَسْتَطِيعُهُ الْأَدْوَاءُ السَّلِيمَةُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَى الْيَهُودِ مِنْ قَبْلُ فِي التَّوْرَةِ، أَوْ حَرَّمَهُ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرَبَةَ وَالْأَفْعَالَ الضَّارَّةَ، الَّتِي تَسْتَخْبِئُهَا النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ؛ كُلْحَمُ الْخَنْزِيرِ، وَالْخَمْرُ، وَالرِّبَا، وَيُزِيلُ عَمَّنْ يَتَّبِعُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْعَهْدِ النَّقِيلَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ مِنَ الْعَمَلِ بِالْوَأْجِبَاتِ الثَّقِيلَةِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ الشَّدِيدَةِ فِي التَّوْرَةِ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَعَظَّمُوهُ، وَأَعَانُوهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَاتَّبَعُوا الْقُرْآنَ؛ هُمُ الْفَائِزُونَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلنَّاسِ: إِنِّي مُرْسَلٌ إِلَى جَمِيعِكُمْ، مِنَ اللهِ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، الَّذِي بِيَدِهِ أَحْيَاءُ الْخَلْقِ وَإِمَاتَتُهُمْ، فَآمِنُوا بِهِ، وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ مِنْ كِتَابٍ، وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُوحِّدُهُ، وَيُؤْمِنُ

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ومنها جميعُ كُتُبِهِ، واقتَدُوا بهذا الرَّسُولِ، وأطيعوه؛
لعلكم تهتَدُونَ إلى الْحَقِّ.

وَمِنْ أَتْبَاعِ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمَاعَةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ
الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وبِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
يَحْكُمُونَ، وبِالْعَدْلِ يَقُومُونَ.

وَقَسَمْنَا قَوْمَ مُوسَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، كُلٌّ مِنْهَا جَمَاعَةٌ
كَثِيرَةٌ، وَقُلْنَا لِمُوسَى لِمَا طَلَبَ قَوْمُهُ أَنْ يَسْقِيَهُمْ، وَهُمْ فِي التَّيِّهِ:
اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا مِنْ
الْمَاءِ، قَدْ عَرَفَ كُلُّ سَبِيطٍ - وَهُمْ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ - عَيْنَهُم الَّتِي تَخْرُجُ
مِنَ الْحَجَرِ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَسْبَاطِ، وَسَتَرْنَا
قَوْمَ مُوسَى بِالسَّحَابِ؛ لِيَقِيَهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنِّ
وَهُوَ إِمَّا رِزْقٌ سَهْلٌ، يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بَلَا مَشَقَّةٍ، أَوْ هُوَ شَيْءٌ
أَبْيَضٌ يَنْزِلُ عَلَى الشَّجَرِ، حُلْوٌ، يُشْبِهُ الْعَسَلَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ
طَائِرَ السَّلَوى، وَقُلْنَا لَهُمْ: كُلُوا مِنْ حَلَالِ الْمُسْتَلَذَّاتِ الَّتِي
رَزَقْنَاكُمْ، فَعَصَوْنِي، وَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَتِي، وَمَا أَدْخَلُوا عَلَيْنَا بِذَلِكَ
نَقْصًا فِي مُلْكِنَا، وَلَمْ يَضُرُّوْنَا، وَإِنَّمَا هُمْ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ.

وَاذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمِ مُوسَى لَمَّا خَرَجُوا
مِنْ مِصْرَ: اسْكُنُوا مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكُلُوا مِنْ ثَمَارِهَا
وَحُبُوبِهَا وَنَبَاتِهَا، فِي أَيِّ مَكَانٍ شِئْتُمْ مِنْهَا، وَقُولُوا: طَلَبْنَا - يَا
رَبَّنَا - أَنْ تَحْطَ ذُنُوبُنَا، وَادْخُلُوا بَابَ الْقَرْيَةِ رُكْعًا مُتَوَاضِعِينَ، إِذَا
قُمْتُمْ بِمَا سَبَقَ؛ فَإِنَّا نَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ، وَسَنَزِيدُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْكُمْ
أَعْمَالَهُمْ، وَاتَّقِنَاهَا بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا؛ عَلَى مَغْفِرَتِنَا
لِذُنُوبِهِمْ، ثَوَابًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَغَيَّرَ الظَّالِمُونَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى مَا أَمَرَهمُ اللهُ بِقَوْلِهِ لِيُغْفِرَ
ذُنُوبَهُمْ، فَقَالُوا بَدَلَ حِطَّةٍ: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ! فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ
السَّمَاءِ؛ إِمَّا الطَّاعُونَ، وَإِمَّا غَيْرَهُ؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ
بِمَعْصِيَةِ اللهِ.

وَاسْأَلْ -يَا مُحَمَّدُ- الْيَهُودَ الَّذِينَ بَحَضَرَتِكَ، عَنْ خَبَرِ الْمَدِينَةِ
الْوَاقِعَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، اسْأَلْهُمْ عَنْ اعْتِدَاءِ أَهْلِهَا مُخَالَفَتِهِمْ مَا
أَمَرَهمُ اللهُ بِهِ مِنْ تَعْظِيمِ يَوْمِ السَّبْتِ بِالْانْقِطَاعِ لِلْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ
الْإِصْطِيَادِ، حِينَ كَانَتْ الْأَسْمَاكُ تَجِيءُ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ، كَثِيرَةً
عَلَى وَجْهِ الْبَحْرِ، وَفِي سَائِرِ الْأَيَّامِ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَخْبِرُهمُ؛
لِخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

وَإِذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ لِمَنْ
يَعِظُ الْمُعْتَدِينَ مِنْهُمْ: لِمَاذَا تَنْهَوْنَ الْمُسْتَحْلِينَ لِلصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ،
وَاللهُ سَيُهْلِكُهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ؟! قَالَ النَّاهُونَ
عَنِ الْمُنْكَرِ: إِنَّمَا نَعْظُمُهُمْ لِنُعْذَرَ عِنْدَ اللهِ، فَلَا يُوَاخِذُنَا بِالتَّقْصِيرِ،
وَرَجَاءٌ أَنْ تُؤَثِّرَ فِيهِمْ مَوْعِظَتُنَا، فَيَكْفُوا عَنْ مُخَالَفَةِ نَهْيِ اللهِ
تَعَالَى.

فَلَمَّا تَرَكَ الْمُعْتَدُونَ مَا أَمَرَهمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ تَعْظِيمِ يَوْمِ
السَّبْتِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ، أَنْجَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ النَّاهِينَ لَهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، بِعَذَابٍ شَدِيدٍ؛ لَخُرُوجِهِمْ
عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

فَلَمَّا تَمَرَّدُوا، وَتَمَادَوْا فِي صَيْدِ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ، قُلْنَا لَهُمْ:
صَبِرُوا قَرْدَةً حَقِيرِينَ، مَطْرُودِينَ مِنَ الْخَيْرِ.

أَعْلَمَ رَبُّكَ الْيَهُودَ -يَا مُحَمَّد- بِمَا قَضَاهُ عَلَيْهِمْ، وَوَاقِعَ بِهِمْ لَا
مَحَالَةَ، مُؤَكِّدًا بِأَنَّهُ سَيُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ

يُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ، إِنَّ رَبَّكَ يِعَاقِبُ مَنْ يَسْتَحِقُّ بَلَا تَأْخِيرٍ، إِذَا حَلَّ وَقْتُ عَذَابِهِمْ، وَإِنَّ رَبَّكَ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لِلتَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ. وَمَزَّقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ؛ بَحِيثٌ لَا تَخْلُو نَاحِيَةً مِنْهُمْ، وَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمٌ صَالِحُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ أَقَلُّ رَتْبَةً، فَكَانُوا عُصَاةً، أَوْ كُفْرَةً، وَاخْتَبَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْأَحْوَالِ الْحَسَنَةِ؛ كَالرَّخَاءِ وَالْعَاقِيَةِ تَارَةً، وَبِالْأَحْوَالِ السَّيِّئَةِ؛ كَالْجَذَبِ وَالْأَمْرَاضِ تَارَةً أُخْرَى؛ لِيَرْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

فَجَاءَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْقَوْمِ -الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ صَالِحُونَ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ- جِيلٌ سُوءٌ لَا خَيْرَ فِيهِ، قَدْ أَخَذُوا الثَّوْرَةَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ، وَعَلِمُوا أَحْكَامَهَا، وَلَكِنْهُمْ يَأْخُذُونَ الْمَالَ الْحَرَامَ، وَيَقُولُونَ -اغْتَرَارًا وَتَمَنِّيًّا بِالْبَاطِلِ-: سَيَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَنَا، ثُمَّ إِنْ جَاءَ هُمْ كَسْبٌ حَرَامٌ؛ اسْتَحْلَوْهُ ثَانِيَةً؛ إِصْرَارًا عَلَى ذُنُوبِهِمْ، وَمَعَ هَذَا يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَهُمْ! أَلَمْ يَأْخُذِ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ فِي الثَّوْرَةِ بِالْأَلَّا يَكْذِبُوا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟! وَالْحَالُ أَنَّهُمْ قَرَأُوا كِتَابَهُ وَعَلِمُوا مَا فِيهِ. وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَعِيمٍ، خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ، مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، أَفَلَا يَكُونُ لَكُمْ عَقْلٌ -يَا مَنْ تَأْخُذُونَ الْحَرَامَ، وَتُخَالِفُونَ كِتَابَ اللَّهِ-، فَتَعْلَمُونَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَانِي؟!!

وَالَّذِينَ يَعْتَصِمُونَ بَكِتَابِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، وَحَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ، وَأَقَامُوهَا بِحُدُودِهَا، هُمْ مِنَ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَيُصْلِحُونَ غَيْرَهُمْ، وَنَحْنُ لَا نُضِيعُ ثَوَابَهُمْ.

وَادْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ اقْتَلَعْنَا جَبَلَ الطُّورِ، فَرَفَعْنَاهُ فَوْقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ تُظِلُّهُمْ، وَغَلَبَ عَلَى ظِلِّهِمْ أَنَّ الْجَبَلَ سَاقِطٌ

عليهم، وقلنا لهم: خذوا التَّوراةَ، فاعملُوا بها بِحِدٍّ، واذكروا ما فيها مِنَ العقائدِ وغيرِها، وتدارسوها؛ لعلكم تتَّقون ربَّكم. واذكُرْ -يا مُحَمَّدُ- حينَ استخرجَ ربُّكَ ذُرِّيَّةَ بني آدَمَ، بَعْضَهُم مِن ظُهورِ بَعْضٍ، وأخرَجَ جميعَ ذلكَ مِن صُلْبِ آدَمَ؛ فقرَّرَهم على توحيدِهِ، إذ قالَ لهم: أَلَسْتُ بِربِّكم؟ فقالوا: نَقَرُّ بهذا. وقد أَشْهَدَهُم اللهُ على ذلكَ؛ لئلاَّ يقولوا يَوْمَ القِيامَةِ: إِنَّهُ لا عِلْمَ لَنَا بأنَّ اللهَ هو الرَّبُّ المعبودُ.

ولئلاَّ يعتذروا يَوْمَ القِيامَةِ، فيقولوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ زَمَانًا، فَفَقَضُوا الميثاقَ، وأَتَيْنَا بَعْدَهُم، فاقْتَدَيْنَا بِهِم، أَفَنُعَذِّبُنا بِشِرْكِ آبَائِنَا؟!!

وكما بيَّنَّا هذه الآياتِ، نبيُّنَ أيضًا غيرَها مِنَ الآياتِ؛ لعلَّ الناسَ يرجعون إلى طاعةِ الله وتوحيدِهِ. واقرأ -يا مُحَمَّدُ- على قَوْمِكَ قِصَّةَ الَّذِي عَلَّمَنَاهُ آيَاتِنَا، فتنَبَّرَ أَ مِنْهَا وفارَقَها، فَالْحَقَّهُ الشَّيْطَانُ، وجعلَهُ تابِعًا يُطِيعُ أَمْرَهُ، فصار مِنَ الضَّالِّينَ.

ولو شِئْنَا لَرَفَعْنَا قَدْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بتوفيقِهِ لِلْعَمَلِ بِآيَاتِنَا، لَكُنْهُ سَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا، وَاتَّبَعَ ما تَمِيلُ الباطِلُ، فَمَثَّلَهُ فِي عَدَمِ اتِّعَاضِهِ، وفي حِرْصِهِ على الدُّنْيَا مَثْلَ الكَلْبِ الَّذِي لا يَتْرُكُ اللَّهْتَ بِحالٍ، سواءَ زَجَرْتَهُ وَطَرَدْتَهُ، أَمْ تَرَكْتَهُ؛ فهذا الَّذِي تَرَكَ الْعَمَلَ بكتابِ اللهِ، إِنْ وَعَظْتَهُ لا يَنْعِظُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ فهو مُسْتَمِرٌّ فِي ضلالِهِ، وهذا المَثَلُ، هو مَثَلُ جميعِ المُكذِّبِينَ بِآيَاتِ اللهِ، فَاسْرُدْ -يا مُحَمَّدُ- ما قِصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنَ أَخْبارِ السَّابِقِينَ؛ لِيَتَفَكَّرَ الْقَوْمُ، فَيَعْتَبِرُوا.

بئسَ هذا المثلُ الَّذي شَبَّه به المَكْذِبُونَ بِآيَاتِنَا! ولم يَظْلِمَهُم اللهُ
سُبْحَانَهُ، بل كانوا يَظْلِمُونَ أَنفُسَهُمْ بِتَقْصِصِهَا مِنَ الْخَيْرِ،
وتعريضها لعذابِ اللهِ.

مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فهو الموفقُ لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، ولا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلُّهُ اللهُ وَيَخْذُلُهُ، فقد خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

ولقد خلقنا وبنَّنا لَجهنَّمَ كثيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ لِيَصِيرُوا
إِلَيْهَا، فهم لَطَرِيقُهَا سَالِكُونَ، ولهؤلاءِ قُلُوبٌ لَا يَفْهَمُونَ بِهَا
الْحَقَّ، ولهم أَعْيُنٌ لَا يَنْظُرُونَ بِهَا إِلَى آيَاتِ اللهِ، فيَعْلَمُوا الْحَقَّ،
ولهم آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا آيَاتِ اللهِ سَمَاعً تَدَبَّرُ، فيَهْتَدُوا إِلَى
الْحَقِّ، أولئك مِثْلُ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعِي، بل هم أَضَلُّ؛ فَالْأَنْعَامُ
تُبْصِرُ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَّهَا، وَتَتَّبِعُ مَالِكَهَا، وَتُسْتَعْمَلُ فِيمَا خُلِقَتْ
لَهُ، بخلافِ أولئك الضَّالِّينَ، إِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ غَفَلُوا غَفْلَةً كَامِلَةً عَنْ
الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ.

وَللهِ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةُ عَلَى صِفَاتِ كَمَالِهِ، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا،
وَاتْرُكُوا الَّذِينَ يَمِيلُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ، عَنِ الْوَاجِبِ لَهَا، كَأَنْ
يُسَمُّوا بِهَا آلِهَتَهُمْ، أَوْ يَزِيدُوا فِيهَا، أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهَا، أَوْ يُنْكِرُوا
بَعْضَهَا، وَسُيُجَازِيَهُمُ اللهُ عَلَى مَا يَعْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَمِنَ الَّذِينَ خَلَقْنَا، جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي
أَنْزَلَهُ اللهُ، وَيُرْشِدُونَ إِلَيْهِ، وَبِالْحَقِّ يَعْدِلُونَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَالَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِنَا، سَنَقَرَّبُهُمْ إِلَى هَلَاقِهِمْ بِالتَّدْرِيجِ، فَنُغْدِقُ
عَلَيْهِمْ نِعْمَنَا، حَتَّى يَغْتَرُّوا بِذَلِكَ، فَيَتِمَادُوا فِي الْبَطَرِ وَالْغَفْلَةِ،
وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَا يُرَادُّ بِهِمْ.

وَأْمَهُلُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِي، فَلَا أُعَاجِلُهُم بِالْعُقُوبَةِ؛ لِيَتِمَادُوا فِي الْكُفْرِ، وَالْعَصِيَانِ، فَيَزِدَّادَ عَذَابُهُمْ، إِنَّ كَيْدِي قَوِيٌّ شَدِيدٌ لَا يُمَكِّنُ الْإِفْلَاطُ مِنْهُ.

أَوَلَمْ يَعْمَلِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِنَا فِكْرَهُمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ الَّذِي خَالَطُوهُ وَعَرَفُوهُ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ لَيْسَ بِهِ جُنُونٌ؟! مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا نَذِيرٌ يَخَوْفُ الْكَفَّارَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، يُبَيِّنُ مَا يُنْذِرُهُمْ بِهِ؛ لِيَكُونَ وَاضِحًا، لَا لُبْسَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وَلَا عُذْرَ مَعَهُ.

أَوَلَمْ يَنْظُرِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ نَظَرَ تَأْمُلٍ وَاعْتِبَارٍ فِي مُلْكِ اللَّهِ الْوَاسِعِ، فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِيمَا خَلَقَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ، فَيُؤْمِنُوا؟ وَيَنْظُرُوا فِي احْتِمَالِ دُنُوِّ وَقْتِ مَوْتِهِمْ وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَيُيَادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ؟ فَبِأَيِّ تَحْذِيرٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ يُؤْمِنُونَ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟! مَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ، فَلَنْ يَهْدِيَهُ أَحَدٌ، وَيَتْرَكُهُمُ اللَّهُ يَتِمَادُونَ فِي ضَلَالِهِمْ يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ -يَا مُحَمَّدُ- عَنِ الْقِيَامَةِ مَتَى وَقْتُهَا؟ قُلْ: إِنَّمَا عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّي، لَا يُظْهِرُهَا فِي وَقْتُهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَقَدْ خَفِيََتْ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ مِنْهَا، وَهِيَ لَا تَجِيءُ إِلَّا فَجْأَةً، وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ وَقْتُهَا وَكَأَنَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- قَدْ بَالَغْتَ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا حَتَّى عَلِمْتَ مَوْعِدَهَا! قُلْ لَهُمْ: لَا يَعْلَمُ وَقْتُهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِسَائِلِكَ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ: لَا أَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ لِنَفْسِي، وَلَا دَفْعَ ضَرِّ عَنْهَا، إِلَّا مَا أَقْدَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَوْ عَلِمْتُ الْغَيْبَ، لَأَعْدَدْتُ الْكَثِيرَ مِمَّا يَنْفَعُنِي، وَتَجَنَّبْتُ مَا يَضُرُّنِي،

ما أنا إِلَّا مُنْذِرٌ عِقَابِ اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ، وَمُبَشِّرٌ بَثْوَابِهِ مَنْ أَطَاعَهُ،
وَيَنْتَفِعُ بِإِنْذَارِي وَتَبَشِيرِي الْمُؤْمِنُونَ.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ آدَمَ، وَخَلَقَ
حَوَاءَ مِنْهُ؛ لِأَيُّوِي إِلَيْهَا آدَمُ، وَيَقْضِي وَطَرَهُ مِنْهَا، وَيَأْنَسَ بِهَا،
فَلَمَّا جَامَعَهَا حَمَلَتْ حَمْلًا يَخْفُ عَلَيْهَا، فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَاسْتَمَرَّ
كَذَلِكَ، فَلَمَّا صَارَ ثَقِيلًا، وَدَنْتَ وَلادَتْهَا نَادَى آدَمُ وَحَوَاءُ قَائِلَيْنِ:
نُقَسِّمُ بكَ -يَا رَبَّنَا- لِنُنْ رَزَقْتَنَا وَلَدًا سَوِيَّ الْخِلْقَةِ صَحِيحًا لَنُكُونَنَّ
مِمَّنْ يَشْكُرُ نِعْمَكَ.

فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللَّهُ وَلَدًا صَالِحًا كَمَا سَأَلَاهُ، جَعَلَ أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ
بَنِي آدَمَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقَهُمْ، فَتَنَزَّهَ اللَّهُ وَتَعَاظَمَ عَنْ شِرْكِ
الْمُشْرِكِينَ.

أَيَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ، وَهَؤُلَاءِ
الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ مَخْلُوقُونَ مَصْنُوعُونَ؟!
وَلَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللَّهِ، أَنْ يَنْصُرُوا
عَابِدِيهِمْ، وَلَا هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودُونَ بِقَادِرِينَ عَلَى نَصْرِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ
أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ نَصْرِ نَفْسِهِ فَهُوَ عَنْ نَصْرِ غَيْرِهِ
أَعْجَزُ.

وَأِنْ تَدْعُوا -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- هَذِهِ الْأَصْنَامَ إِلَى الْحَقِّ، لَا
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ؛ لِأَنَّهَا جُمَادَاتٌ لَا تَعْقِلُ، وَلَا تَسْمَعُ، فَيَسْتَوِي
دَعَاؤُكُمْ لَهَا وَسُكُوتُكُمْ عَنْهَا، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ؟!
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِمَّا سِوَى اللَّهِ، هُمْ مَمْلُوكُونَ لِلَّهِ مِثْلَكُمْ،
فَادْعُوا أَصْنَامَكُمْ، وَلْتُجِبْ دُعَاءَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنَّهَا
تَضُرُّ وَتَنْفَعُ، وَأَنَّهَا تَسْتَجِيبُ الْعِبَادَةَ!

أَلِهَؤْلَاءِ الْأَصْنَامِ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا؟! أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَأْخُذُونَ بِهَا
مَا يُرِيدُونَ تَنَاوُلَهُ بِشِدَّةٍ؟! أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُعَايِنُونَ بِهَا الْأَشْيَاءَ؟! أَمْ
لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟! فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهَا؟! قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ - لِهَؤْلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ: اسْتَنْصِرُوا عَلَيَّ بِأَصْنَامِكُمُ الَّتِي تَزْعُمُونَهَا آلِهَةً مَعَ
اللَّهِ، ثُمَّ عَجِّلُوا أَنْتُمْ وَهِيَ بِالْكِدِّ لِي، فَلَا تُمְهِلُونِي.

قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: إِنَّ الَّذِي يَنْصُرُنِي عَلَيْكُمْ، وَيَعْصِمُنِي مِنْكُمْ؛
هُوَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَنْصُرُ وَيَحْفَظُ مَنْ
صَلَحَتْ نِيَّتُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ.

وَالَّذِينَ تَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرِكَ،
وَلَا عَلَى نُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ.

وإِنْ تَدْعُوا أَصْنَامَكُمْ إِلَى الْحَقِّ، لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ؛ لِأَنَّهَا
جُمَادَاتٌ لَا تَسْمَعُ، وَتَرَى - يَا مُحَمَّدٌ - آلِهَةَ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْحَوْتَةَ،
تُقَابِلُكَ بَعْيُونَ مُصَوَّرَةٌ، كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَهِيَ لَا تُبْصِرُ شَيْئًا
فِي الْحَقِيقَةِ.

اقْبَلْ - يَا مُحَمَّدٌ - مَا تَيْسَّرَ مِنَ أَخْلَاقِ النَّاسِ، وَمَا سَمَحَتْ بِهِ
أَنْفُسُهُمْ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَاصْفَحْ عَنْهُ، وَاتْرُكْ مَا لَكَ مِنَ
الْحَقِّ عَلَيْهِمْ، وَأْمُرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي يُقَرُّهُ الشَّرْعُ، وَأَعْرِضْ
عَمَّنْ جَهَلَ عَلَيْكَ، فَلَا تَوَاخِذْهُ بِزَلَّتِهِ.

وإِنْ نَالَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَسُوسَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛
لِيُتَبَيَّنَ لَكَ عَنِ الْخَيْرِ، أَوْ يَحْتَكَّ عَلَى الشَّرِّ، أَوْ مُجَازَاةً مَنْ جَهَلَ
عَلَيْكَ - فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَحْفَظَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
لِدُعَائِكَ، وَلَوْ سُوسَةَ الشَّيْطَانِ، وَلِكُلِّ صَوْتٍ، عَلِيمٌ بِذَلِكَ، لَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ إِنْجَاؤُكَ وَحِمَايَتُكَ.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ تَعَالَى، إِذَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَسَوْسَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَمُّوا بِتَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ، أَوْ اقْتِرَافِ مَعْصِيَّتِهِ، تَذَكَّرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِقَابَهُ وَثَوَابَهُ، وَمَا أَمَرَ هُمْ بِهِ مِنَ الِاسْتِعَاذَةِ، فَإِذَا هُمْ يُبْصِرُونَ بِقُلُوبِهِمُ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُونَهُ، وَالْبَاطِلَ فَيَجْتَنِبُونَهُ.

وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنْ كَفَرَةِ الْإِنْسِ وَفَجَرَتِهِمْ، تُزَيِّنُ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ الضَّلَالَ، وَتُعِينُهُمْ عَلَيْهِ، وَالشَّيَاطِينُ لَا تَسْأَمُ وَلَا تَفْتُرُ مِنْ إِمْدَادِ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ بِالضَّلَالِ، وَكَذَلِكَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ لَا يُقْصِرُونَ فِي ارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ، فَهُمْ فِي مَنَاهَا أَزْدِيَادٌ دَائِمٌ.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِ الْمُشْرِكِينَ -يَا مُحَمَّدُ- بَآيَةٍ وَفَقَ طَلِبُهُمْ، قَالُوا: هَلَّا أَتَيْتَ بِهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ؟ فَقُلْ لَهُمْ: لَيْسَ لِي ذَلِكَ، إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحِيهِ إِلَيَّ رَبِّي، وَهَذَا الْقُرْآنُ عَلَامَاتٌ لِلْهُدَى، وَحُجَجٌ قَاطِعَةٌ، وَأَنْوَارٌ سَاطِعَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ مُرْشِدٌ إِلَى الْحَقِّ، وَرَحْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَأَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ؛ لِيَتَفَقَّهُمُوا آيَاتِهِ، وَاصْمُتُوا حِينَ تَسْمَعُونَهُ لِيَتَذَكَّرُوهُ؛ لَعَلَّكُمْ تَتَالَوْنَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَادْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى بِلِسَانِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، دُونَ أَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ، مُسْتَحْضِرًا بِقَلْبِكَ عَظَمَتَهُ وَصِفَاتِهِ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ مُتَخَشِّعٌ مُتَذَلِّلٌ، خَائِفٌ وَجَلُّ الْقَلْبِ، وَادْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِلِسَانِكَ، مِنْ غَيْرِ رَفْعٍ لِلصَّوْتِ، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَآخِرِهِ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ.

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
سُبْحَانَهُ، وَيَنْزِعُونَهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، وَلَهُ وَحْدَهُ يَسْجُدُونَ
بِتَذَلُّي وَخُضُوعٍ.

الأنفال

يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ - يَا مُحَمَّدُ - عَنِ الْغَنَائِمِ - وَخَاصَّةً مَا غَنِمُوهُ
مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ - عَنْ حُكْمِهَا، وَلِمَنْ هِيَ، وَكَيْفَ تُقَسَّمُ؟ فَقُلْ
لَهُمْ: إِنَّمَا أَمْرُ الْغَنَائِمِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي يَمْلِكُهَا، وَإِلَى مُحَمَّدٍ
الَّذِي يَقْسِمُهَا، وَهُمَا يَتَصَرَّفَانِ فِي شَأْنِهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى،
وَأَصْلِحُوا مَا بَيْنَكُمْ مِنْ تَنَازُعٍ فِي الْأَنْفَالِ، فَلَا تَتَخَاصَمُوا،
وَانْتَهُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، فَاقْبَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فِي شَأْنِ
الْأَنْفَالِ وَفِي غَيْرِهَا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا.

إِنَّمَا الْكَامِلُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ؛ مَنْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَعَظُمَتْهُ وَقُدِّرَتْهُ؛
فَزَعَتْ قُلُوبُهُمْ، فَخَضَعُوا لِلَّهِ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ، وَتَرَكَ نَوَاهِيهِ، وَإِذَا
قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ، أَزْدَادَ تَصْدِيقَهُمْ وَيَقِينَهُمْ،
وَانْقِيَادُهُمْ، وَهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُونَ، فِي جُلْبِ مَصَالِحِهِمْ
وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ، فَيَأْتُونَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ
الْمَطْلُوبِ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِتِلْكَ الْأَفْعَالِ الْجَلِيلَةِ، وَيَتَّصِفُونَ بِتِلْكَ
الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقَّ الْإِيْمَانِ، وَلَهُمْ مَرَاتِبُ
عَالِيَاتٍ، يَرْتَقُونَهَا فِي الْجَنَّاتِ، وَلَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنُوبِهِمْ، وَلَهُمْ فِي
الْجَنَّةِ رِزْقٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ.

كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّكَ - يَا مُحَمَّدُ - بِأَمْرِ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ، وَجَعَلَهُ
حَقًّا لَكَ - بَعْدَ الْاِخْتِلَافِ فِي شَأْنِ قِسْمَتِهَا - فَكَذَلِكَ أَخْرَجَكَ مِنْ

بَيْتِكَ؛ لِلْقَاءِ كُفَّارٍ قُرَيْشٍ، وَكَرَّةَ بَعْضِ أَصْحَابِكَ ذَلِكَ، فَاْمُضِ
لَأَمْرِ اللَّهِ فِي الْغَنَائِمِ، كَمَا مَضَيْتَ لَأَمْرِهِ فِي الْخُرُوجِ، وَكِلَاهُمَا
حَقٌّ وَخَيْرٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَرِهُوا لِقَاءَ كُفَّارٍ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ،
يُجَادِلُونَكَ -يَا مُحَمَّدُ- فِي الْحَقِّ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بَعْدَ تَبَيُّنِهِ،
فَخُرُوجُكَ مَصْحُوبٌ بِالْوَعْدِ مِنَ اللَّهِ بِالنَّصْرِ، وَمَعَ هَذَا قَالُوا: لَمْ
نَعْلَمْ أَنَّ نَلْقَى الْعَدُوَّ فَنَنْتَهِيًا لِقَتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا طَلَبًا لِلْغَنَائِمِ مِنْ
عِيرِ قُرَيْشٍ دُونَ حَرْبٍ، فَلَوْ يُرَخَّصُ لَنَا فِي تَرْكِ الْقِتَالِ! إِنْ حَالٌ
هَؤُلَاءِ كَمَنْ يُفْتَدَمُ إِلَى الْمَوْتِ، وَهُوَ يَرَاهُ عَيَانًا.

وَادْكُرُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- حِينَ وَعَدَكُمْ اللَّهُ الظَّفَرَ بِغَنِيمَةِ
الْعِيرِ أَوْ النَّفِيرِ، وَأَنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ الْعِيرُ؛ لِتَغْنَمُوهَا بِلَا
قِتَالٍ، وَلَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى
ذَاتِ الْمُنْعَةِ وَالسَّلَاحِ؛ لِيَنْصُرَكُمْ، وَيُظْهِرَ دِينَهُ، وَيُهْلِكَ الْكَافِرِينَ.
وَيُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى قَطْعَ دَابِرِ الْكَافِرِينَ؛ لِيُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ، وَيُظْهِرَهُ،
وَيُبْطِلَ الشِّرْكَ، وَلَوْ كَرِهَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ اكْتَسَبُوا مَا
يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ.

إِذْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ رَبَّكُمْ، أَنْ يَنْصُرَكُمْ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى
دَعَاءَكُمْ، بِأَنْتَنِي مُقَوِّيكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَأْتُونَ مُتَتَابِعِينَ لِلْقِتَالِ
مَعَكُمْ.

وَمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْإِمْدَادَ إِلَّا بَشَارَةً لَكُمْ بِالنَّصْرِ،
وَلِتَسْكُنَ قُلُوبُكُمْ فَيَزُولَ عَنْهَا الْقَلَقُ، وَتُوثِقَ بَنَصْرِ اللَّهِ، وَلَنْ
تُنْصَرُوا إِلَّا أَنْ يَنْصُرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَطْنُوا -إِنْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ
الْمَلَائِكَةُ- أَنْ النَّصَرَ بِأَيْدِيهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، بِالْغِ
الْحِكْمَةِ سُبْحَانَهُ.

واذْكُرُوا حِينَ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمُ النَّعَاسَ؛ لَتَكُونُوا آمِنِينَ،
بِلا جَزَعٍ مِنْ عَذُوكُمْ، وَيَنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ
يُطَهِّرُكُمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ، وَيُذْهِبَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ،
وَيُقَوِّي قُلُوبَكُمْ، فَتَنْتَبِتَ، وَلِيْلَبِدَ الْأَرْضَ؛ فَتَنْتَبِتَ أَرْجُلُكُمْ، وَلَا
تَغُوصَ فِيهَا.

اذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ- حِينَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِمُ
الْمُؤْمِنِينَ، أَنِّي مَعَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالْتَّايِيدِ، فَقَوُّوا عَزِمَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَأَلْفُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْأَمْنَ، وَبَشِّرُوهُمْ بِالنَّصْرِ، سَارِعِ قُلُوبَ
الْكَفَّارِ، حَتَّى يَنْهَزُمُوا، فَاضْرِبُوا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ رُؤُوسَهُمْ،
فَحْزُوهَا، وَأَعْنَاقَهُمْ فَاقْطَعُوهَا، وَاضْرِبُوا كُلَّ طَرَفٍ وَمَفْصِلٍ
مِنْ أَصَابِعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ.

ما تقدم في الآية السابقة من قتال وتخويف للمُشْرِكِينَ، إِنَّمَا
هُوَ عِقَابٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ فَارَقُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحَارَبُوهُمَا، وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ.
هذا هو العذابُ الَّذِي جَعَلْتُهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشَاقُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ -
فَذُوقُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ وَلِغَيْرِكُمْ مِنَ الْكَفَّارِ عَذَابًا فِي
النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا قَابَلْتُمُ الْكَفَّارَ، وَقَدْ دَنَوْا لِقِتَالِكُمْ، وَدَنَوْتُمْ
لِقِتَالِهِمْ، فَلَا تُولَوْهُمْ ظُهُورَكُمْ فِرَارًا مِنْهُمْ، فَتَنْهَزُمُوا.
وَمَنْ يُولِ الْكَفَّارَ ظَهْرَهُ، فَقَدْ رَجَعَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَمَصِيرُهُ فِي الْقِيَامَةِ، جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ! إِلَّا مَنْ يُؤْلِيهِمْ
ظَهْرَهُ فَيَنْحَرِفُ عَنْ اتِّجَاهِهِ؛ لِيُوْهِمَ عَدُوَّهُ أَنَّهُ قَدْ فَرَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَكُرُّ
عَلَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَمْكَنَ لَهُ فِي قِتَالِهِ، أَوْ أَنْكَى لِعَدُوِّهِ؛ فَلَا بَأْسَ فِي
هَذَا التَّوَلَّى، أَوْ إِلَّا مَنْ يُؤْلِيهِمْ ظَهْرَهُ؛ لِيَتَنَحَّى إِلَى جَمَاعَةٍ أُخْرَى

مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يريدونَ العودَةَ إِلَى الْقِتَالِ، فيعودُ معهم ويتعاونون؛ فيجوزُ له التولي أيضا.

ليس بِقُوَّتِكُمْ -أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- قَتَلْتُمُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَكِنْ مَنْ قَتَلَهُمْ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ الَّذِي أَمَرَكَم بِقِتَالِهِمْ، وَأَعَانَكُمْ، وَرَبَطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَمَا أَوْصَلَتِ الرَّمْيَ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ رَمَيْتَ وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ بِقَبْضَةٍ مِنْ حَصْبَاءَ، أَوْ حَفَنَةٍ مِنْ تَرَابٍ، وَلَكِنْ الَّذِي أَوْصَلَهَا إِلَيْهِمْ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، بِقُوَّتِهِ، وَقَدْ قَتَلَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ؛ لَهْزِيمَتِهِمْ، وَلِيُنْعِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِعَطَاءٍ حَسَنٍ، يَشْكُرُونَهُ عَلَيْهِ، مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْغَنَائِمِ، وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ لِإِهْلَاكِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ؛ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِنِيَّاتِهِمْ وَبِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ.

ذَلِكَ الْفِعْلُ؛ مِنْ قَتَلَ الْمُشْرِكِينَ وَرَمَاهُمْ حَتَّى انْهَزَمُوا، وَالْإِنْعَامُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْتِصَارِ، هُوَ فِعْلُنَا، وَتَمَّ بَشَارَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُضَعِفُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ كُلَّ كَيْدٍ يَكِيدُ بِهِ الْكُفَّارُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

إِنْ تَسْتَحْكُمُوا اللَّهَ -أيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- لِيُفْصَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَسْتَنْصِرُوهُ؛ لِيُوقَعَ عَذَابُهُ عَلَى الظَّالِمِينَ- فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا طَلَبْتُمْ؛ بِنَصْرِهِ الْحَقِّ عَلَى الْمُبْطِلِ، حِينَ أَوْقَعَ بِكُمْ عِقَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنْ تَنْتَهُوا -يَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ- عَنِ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَالتَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ، وَقِتَالِ نَبِيِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَعَوَّدُوا إِلَى ذَلِكَ؛ نَعُدُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ يَوْمِ بَدْرٍ، بِالْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَحِينَهَا لَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ مِنْ

جُنُودِكُمْ وَأَعْوَانِكُمْ أَيَّ شَيْءٍ، وَلَنْ يَدْفَعُوا عَنْكُمْ شَيْئًا، وَلَوْ كَثُرَ
عَدَدُهُمْ، وَلَأنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ، بِالْعَوْنِ، وَالنَّصْرِ.
يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، امْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ، وَاجْتَنِبُوا
نَهْيَهُمَا، وَلَا تُعْرِضُوا عَنْ طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ أَمْرَهُ
إِيَّاكُمْ وَنَهْيَهُ، وَتَعْلَمُونَ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ.

وَلَا تَكُونُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِإِعْرَاضِكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، كَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا بِأَذَانِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ، قَالُوا:
قَدْ سَمِعْنَا، لَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ؛ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ
مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا.

إِنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِينَ
لَمْ يَنْتَفِعُوا بِآيَاتِهِ؛ فَهُمْ صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، بُكْمٌ عَنِ التَّكْلِيمِ بِهِ،
لَا يَعْقِلُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ.

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِي أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ خَيْرًا؛ بِقَصْدِهِمُ الْحَقَّ،
وَصَلَاحِيَّتِهِمْ لِقَبُولِهِ -لَأَمَكَّنَهُمْ مِنْ فَهْمِ آيَاتِهِ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ
أَفْهَمَهُمْ مَعَ حَالِهِمْ هَذِهِ، لَابْتَدَعُوا عَنْهَا، وَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْ
قَبُولِهَا إِعْرَاضًا كُلِّيًّا؛ قَصْدًا وَعِنَادًا.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَجِيبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى طَاعَتِهِمَا،
إِذَا دَعَاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صِلَاحٌ، وَحَيَاةٌ طَيِّبَةٌ؛ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْجُزُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ إِذَا شَاءَ فَلَا يَسْتَطِيعُ
الْمَرْءُ أَنْ يُدْرِكَ شَيْئًا مِنْ حَقِّ أَوْ بَاطِلٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،
فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَرْتَدُّوا أَمْرَ اللَّهِ، أَوْ تَتَبَاطُؤُوا عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ لَهُ، وَاعْلَمُوا
أَنْكُمْ تُجْمَعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

وَاحْذَرُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنْ بَلَاءٍ يَأْتِيكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا يَخْتَصُّ
وُقُوعَهُ بِمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، بَلْ يَغْمُ الْمُسِيءُ

وغيره، ممن يرى المنكر ولا ينهى عنه ولا يغيره مع قدرته على ذلك، واعلموا أن ربكم شديد عقابه لمن تعرض لسخطه، بترك أو امره، وفعل نواهيه.

واذكروا -أيها المؤمنون- حين كان عددكم في مكة قليلاً، يراكم أعداؤكم ضِعْفَاء، وَيَقْهَرُونَكُمْ، وَيُؤْذُونَكُمْ لِيَمَانِكُمْ، تَخَافُونَ أَنْ يَسْتَلْبِذَ بِكُمُ الْكُفَّارُ، فَيَقْتُلُوكُمْ، فَجَعَلَ لَكُمْ بَلَدًا تَأْوِنَ إِلَيْهِ، وهي المدينة، وَقَوَّامًا بِأَهْلِهَا، فانتصرتكم على أعدائكم بِبَدْرِ وغيرها، وَأَطْعَمَكُمْ الْغَنَائِمَ حَلَالًا طَيِّبًا، فَتَذَكَّرُوا هَذَا الْإِنْعَامَ؛ لِتَشْكُرُوا الْمُنْعَمَ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَتُطِيعُوهُ وَحْدَهُ.

يا أيها المؤمنون، لَا تَنْقُصُوا مَا يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ حِفْظُهُ وَأَدَاؤُهُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ، بِتَرْكِ فَرَائِضِهِ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَاتِهِ، وَلَا تَنْقُصُوا حُقُوقَ رَسُولِهِ بِتَرْكِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ، وَلَا تَخُونُوا مَا أَوْثَمَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَالْحَالُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا لَا لَبْسَ فِيهِ أَنَّهَا أَمَانَاتٌ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا، وَتَعْلَمُونَ مَفَاسِدَ خِيَانَتِهَا.

واعلموا -أيها المؤمنون- أَنَّ أَمْوَالَكُمْ، وَأَوْلَادَكُمْ، اخْتِبَارٌ يَبْتَلِيكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَاعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ؛ فَاتَّزُوا فَضْلَهُ الْعَظِيمَ الْبَاقِي، عَلَى لَذَّةٍ صَغِيرَةٍ فَانِيَةٍ.

يا أيها المؤمنون، إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ فَتَتَّقُوا خِيَانَتَهُ، وَخِيَانَةَ رَسُولِهِ، وَأَمَانَاتِكُمْ؛ يَجْعَلُ لَكُمْ عِلْمًا تَفَرَّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَخْرَجًا مِنْ كُرُوبِ الدُّنْيَا، وَنَصْرًا، وَيَمُحُّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيَغْفِرُهَا لَكُمْ، وَاللَّهُ -الَّذِي يَمْنَحُكُمْ كُلَّ هَذِهِ الْهَيَاتِ- صَاحِبُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، لِمَنْ اتَّقَاهُ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى غَيْرِكُمْ.

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدٌ- نِعْمَتِي حِينَ تَأْمُرُ كَفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَيْكَ؛ لَيْسَ جَنُوكَ، أَوْ يَقْتُلُوكَ، أَوْ يُخْرِجُوكَ مِنْ مَكَّةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكِيدُ بِهِمْ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، فَاسْتَنْقَذَ نَبِيَّهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ أَفْضَلُ مَنْ يُجَازِي بِالسَّيِّئَةِ الْعُقُوبَةَ، وَلَا أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ.

وَإِذَا تَنَلَّى عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ آيَاتُ كِتَابِنَا، قَالُوا قَوْلًا يَغُرُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ؛ تَمَرَّدًا وَعِنَادًا، قَالُوا: قَدْ سَمِعْنَاهَا، وَلَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَهَا، وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا أَكَاذِيبٌ، سَطَرَهَا الْأَقْدَمُونَ فِي كُنُهِهِمْ!

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدٌ- حِينَ قَالَ كَفَّارُ قُرَيْشٍ: اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِكَ؛ فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مُتَابِعَةً كَالْمَطَرِ، أَوْ عَذِّبْنَا عَذَابًا مُؤَلِّمًا.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَ كَفَّارَ قُرَيْشٍ وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ -يا مُحَمَّدٌ-؛ فَلَا أَهْلَكَ أَهْلَ بَلَدَةٍ فِيهَا نَبِيُّهُمْ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَ أَوْلَئِكَ الْكُفَّارِ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، لَكُنْهُمْ عَلَى ضَلَالٍ مُصِرُّونَ، فَهُمْ لِلْعَذَابِ مُسْتَحِقُّونَ. أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوجِبُ ذَلِكَ، وَهُوَ مَنَعُهُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِلْعِبَادَةِ؟! وَمَا كَانَ كَفَّارُ قُرَيْشٍ أَوْلِيَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مَا أَوْلِيَاءَ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، الْمُتَّقُونَ لِلشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

وَمَا كَانَ صَلَاةُ كَفَّارِ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ إِلَّا صَفِيرًا وَتَصْفِيقًا! فَلْيَذُوقُوا أَلَمَ الْعَذَابِ لَكُفْرِهِمْ.

إِنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَتَّقَوْا بِهَا عَلَى قِتَالِ
الْمُسْلِمِينَ، وَيَصْرِفُوا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ، فَسَيُنْفِقُونَهَا، ثُمَّ تَصِيرُ
نَفَقَتُهُمْ نَدَامَةً شَدِيدَةً عَلَيْهِمْ، حِينَ لَا يَظْفَرُونَ بِمَا كَانُوا يَطْمَعُونَ،
وَهُمْ فِي آخِرِ الْأَمْرِ يُغْلَبُونَ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَفَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

يَحْشُرُ اللَّهُ الْكَفَّارَ إِلَى جَهَنَّمَ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
الطَّيِّبِينَ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، حَتَّى يَتَرَكَوْا
وَيَكْثُرُوا، فَيَجْعَلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ، أَوْلَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَخَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: إِنْ يَتْرَكُوا الْكُفْرَ، وَقِتَالَ
الْمُؤْمِنِينَ، يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ، وَإِنْ يَعُودُوا إِلَى
قِتَالِكَ، وَيَسْتَمِرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ؛ فَقَدْ سَبَقَ إِهْلَاكُ الْكُفَّارِ فِي بَدْرِ،
وَإِهْلَاكُ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ.

وَقَاتِلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- الْكُفَّارَ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ ثَمَّ شِرْكٌ يُفْتَنُ
بِهِ النَّاسُ، وَتَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا خَالِصَةً لِلَّهِ، وَيَنْتَشِرَ الْإِسْلَامُ، فَإِنْ
انْتَهَوْا عَنِ الشِّرْكِ وَأَسْلَمُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَا يَعْمَلُونَ فِي
الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، فَكُفُّوا عَنِ قِتَالِهِمْ، وَإِنْ لَمْ
تَعْلَمُوا بِوَاطِنِهِمْ.

وَإِنْ أَعْرَضَ الْكُفَّارُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَصْرَرُوا عَلَى الْكُفْرِ
وَالْقِتَالِ، فَقَاتِلُوهُمْ، وَأَيَّقُوا أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّكُمْ، فَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، هُوَ
نِعْمَ الْمُعِينُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَنِعْمَ النَّاصِرُ لَهُمْ.